تجليات الرمز في ديوان ما لا يجيء لسلطان السبهان: مقاربة إنشائية

إعداد

د. وفاء أحمد جابر أحمد

أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المشارك بكلية اللغات والعلوم الإنسانية – جامعة القصيم

البريد الإلكتروني :w.ahmed@qu.edu.sa

المستخلص :

يحاول هذا البحث استكناه مكامن النص الجمالية والإيحائية في ديوان (ما لا يجيء) لسلطان السهبان، من خلال دراسة الرمز في شعره، الذي حاول الشاعر من خلاله بث أفكاره ومشاعره ورؤاه عن طريق الإيحاء بدلا من الوصف المباشر، وقد حاولنا خلال هذا البحث التقاط العلاقات الخفية التي تربط بين الرمز ودلالاته داخل النص؛ فالشعر يحتاج دوما إلى التعمق في مضامينه وسبر أغواره، وصولا لدلالاته العميقة ومعانيه الغائرة، كما حاولنا الوقوف على استخدام الرمز في السياق الشعري لأن هذا يضفي عليه طابعاً شعرياً، حيث إنه أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف، وتحديد أبعاده النفسية؛ فغالبية الرموز التي ضمنها السبهان في شعره ليست أقماراً تائهة ولا منفلتة من مداراتها كما تبدو في الظاهر، بل هي رموز متوالية مترابطة، بينها وشائج خفية وعلاقات وطيدة، وقد ارتكز البحث على مجموعة من الرموز(الرمز الطبيعي – الرمز التاريخي – الرمز اللوني) واستعنت في هذه البحث بآليات المنهج الإنشائي الذي يعنى بالكشف عن مرجعية الرموز في النص، ودلالاتها، وأنساقها الاجتماعية والثقافية، وبيان الطبيعي منها والمخترع فيها.

الكلمات المفتاحية: (الرمز – الإنشائية – السبهان - الطبيعة - اللون).

أهم نتائج البحث:

1- أضفى الشاعر على رموزه تجربته الخاصة، فلم يكن استدعاؤه لها مجرد تكرار.
2- استخدم الشاعر رموزا متعددة ، غير أنه أكثر من استخدام رموز الطبيعة.
3- حاول الشاعر من خلال الرمز أن يبث في شعره بعض القيم والمبادئ، كالصبر والعطاء والتفاؤل والتضحية ...إلخ.
4- استخدم الشاعر الرموز الدينية والتراثية؛ فمنح شعره نوعا من الأصالة، ودفع القارئ لاستحضار النصوص والشخصيات الدينية والتراثية أثناء قراءة شعره، كذلك فتح الشاعر النص أمام القارئ لتعدد القراءة التأويل.
5- أكد استدعاء الرمز التاريخي أن السبهان يفخر بهويته العربية وينتمي لها، ويشجع القارئ على الاعتزاز بها.
6- من خلال دراسة الرمز اللوني، اتضح أن الشاعر اقتحم عالم الألوان بجرأة وصبغ معظم قصائده بألوان متعددة، وقد أضفى اللون على شعره البهجة والحيوية.
7- حملت المفردات اللونية المستخدمة دلالات إيجابية كالجمال والحضور والطهر والنقاء، وأخرى سلبية كالحزن والظلمة والتشاؤم والغيرة، ارتبطت بالسياق الذي وردت فيه هذه المفردة.

Manifestations of the symbol in the collection of What Does Not Come by Sultan Al-Sabhan: A Structural approach

Search summary:

This research attempts to uncover the aesthetic and suggestive potentials of the text in the collection (What Does Not Come) by Sultan Al-Sahban, by studying the symbol in his poetry, through which the poet tried to broadcast his thoughts, feelings, and visions through suggestion rather than direct description. During this research, we have tried to capture the hidden relationships. that links the symbol and its meanings within the text; Poetry always needs to delve deeper into its contents and explore its depths, in order to reach its deep connotations and profound meanings. Most of the symbols included by Al-Sabhan in his poetry are not wandering moons or escaping from their orbits as they seem on the surface, but rather they are successive, interconnected symbols, with hidden connections and close relationships between them. The research was based on a group of symbols (the natural symbol - the historical symbol - the color symbol) and I used it in This research is based on the mechanisms of the Structural approach, which is concerned with revealing the reference of symbols in the text, their meanings, and their social and cultural patterns, and explaining what is natural and what is invented in them.

Most important search results:

1- The poet imbued his symbols with his own experience, so his invocation of them was not mere repetition.

2- The poet used multiple symbols, but he used more than the symbols of nature.

3- The poet tried, through symbolism, to infuse his poetry with some values and principles, such as patience, giving, optimism, sacrifice...etc.

4- The poet used religious and traditional symbols. He gave his poetry a kind of originality, and pushed the reader to conjure religious and traditional texts and figures while reading his poetry. The poet also opened the text to the reader for multiple reading and interpretation.

5- Invoking the historical symbol confirmed that Al-Sabhan is proud of his Arab identity and belongs to it, and encourages the reader to be proud of it.

6- By studying the color code, it became clear that the poet boldly broke into the world of colors and dyed most of his poems with multiple colors. Color gave his poetry joy and vitality.

7- The color vocabulary used carried positive connotations, such as beauty, presence, purity, and purity, and negative connotations, such as sadness, darkness, pessimism, and jealousy, which were linked to the context in which this word was used.

Keywords: (symbol - Structural - symbols - nature - color).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد ،،،

يأخذ الرمز حيزاً هاماً في الدراسات النقدية المعاصر، وقد تعددت الدراسات حول علاقة الشعر بالرمز.

ومردُّ ذلك يعودُ - بالدرجة الأولى- إلى حصول الرمز على مساحة واسعة في شعر التفعيلة المعاصر، وإلى حضوره المتميز فيه، وهو يُعَدُّ إحدى أهم سمات (قصيدة الرؤيا) التي غطّت مرحلتي الخمسينيات والستينيات من قرننا هذا، فقد أصبح الرمز ثيمة لدى الشعراء المعاصرين؛ إذ الرمز – في أبسط دلالاته-بمثابة قالب معبر يفرغ فيه الشعراء مشاعرهم وأفكارهم تجاه موقف معين.

فالشاعر يقيم علاقة خفية بين الرمز والمرموز له عن طريق خياله، حيث إنه يجد رحابة في التعبير عن مكنونات نفسه، واستيعاب تجاربه الشعورية، وقد يكون الرمز تعبيرا عن مشاعر واقعية للشاعر، أو صورة لعالم مثالي يتمناه الشاعر.

ومن هنا يأتي موضوع هذا البحث تحت عنوان: **" تجليات الرمز في ديوان ما لا يجيء لسلطان السبهان: مقاربة إنشائية"** والرمز هنا مقصود بمعناه الفني، أي باعتباره طريقة في الأداء الأدبي يعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر و إثارتها بدلا من تقريرها أو تسميتها و وصفها.

أما **مشكلة البحث** فتتلخص في إبراز دور الرمز في شعر السبهان ، ومعرفة الأسباب التي ساقت الشاعر لاستخدام الرمز في نصوصه الشعرية، وبيان مدى نجاح الشاعر في توظيف الرمز؛ ولذلك سيتجه البحث للإجابة عن التساؤلات الآتية:

1- ما الدواعي والأسباب التي دفعت الشاعر لاستحضار الرموز عبر نصوصه الشعرية؟
2- إلى أي مدى نجح الشاعر في توظيف الرمز في شعره والتعبير عن تجربته الشعورية واللاشعورية من خلاله ؟
3- ما الرموز التي استعملها الشاعر ؟
4- كيف أثر استعمال الشاعر للرمز في المتلقي؟

وبهذا تسعى الدراسة **لأهداف أهمها** :معرفة الدواعي والأسباب التي ساقت الشاعر إلى استحضار الرموز في نصه الشعري، ودراسة الرمز داخل السياق الشعري الذي ورد فيه ، ومعرفة مدى نجاح الشاعر في توظيف الرمز، واللجوء إليه للتعبير عما كان يشعر به من مشاعر إنسانية والتنفيس عن للهموم والمآسي التي عاشها، وآثر التعبير عنها بطريقة غير مباشرة من خلال ذلك الرمز ، وإثبات أن استعمال الشاعر للرمز أثر المتلقي- بلا شك- وجعله متفاعلا من النص الشعري.

وسوف أقوم بدراسة الرمز في ديوان **"ما لا يجيء"** للشاعر السعودي سلطان السبهان[1]، وهو الديوان الأخير الذي صدر للشاعر عام 2018 م، وقد جاء هذا الديوان في (أربعة وأربعين نصا) في تسعين صفحة، وكان مشحونا بكثير من عواطف الشاعر المتباينة من حزن وفرح، ويأس وأمل، وفشل ونجاح، وموت وحياة، وكانت أغلب نصوص الديوان تحمل مشاعر القلق والفقد والحزن والوحدة، يتخللها شيء من التحدي والأمل والفرح.

وجدير بالذكر أنه لا توجد دراسات سابقة تتناول الرمز في الديوان، وهناك دراستان – على حسب معرفتي – الأولى بعنوان " العتبات النصية في ديوان ما لا يجيء لسلطان السبهان: دراسة سيميائية" للباحثة منى بنت خلف العنزي، وهو بحث منشور بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورةع1، 2021م ، والثانية بعنوان: " التناص في ديوان ما لا يجيء لسلطان السبهان" للدكتورة عائشة الشمري، وهو بحث منشور بمجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة عين شمس، ع24 ج7 2023م، وتختلف الدراستان عن موضوع دراستي، وفي الوقت نفسه لا ننفي أن هاتين الدراستين سأفيد منهما فيما تقاطع مع بحثي من موضوعات.

أما **منهج الدراسة** فقد اعتمد البحث على المنهج الإنشائي (Poetics)[2] الذي يركز على دراسة النص الأدبي وتحليل آلياته ومقوماته، فهو لا يهتم الأثر الأدبي في حدّ ذاته، وإنما يهتم بخصائص هذا

---

[1]- شاعر وأكاديمي سعودي ولد السبهان في مدينة الطائف عام 1395هـ - 1975م، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حاصل على لقب (أمير الشعراء) في الموسم الثامن من برنامج (أمير الشعراء) لعام 2019م، صدر له عدد من الدواوين الشعرية كان أولها ديوان (تفاصيل أخرى للماء)2015م،(يكاد يضيء): صدر عن دار مدارك عام 2016م ،(ما لا يجيء): صدر عن دار تشكيل عام 2018م.و(أغنيات الورد) [ديوان صوتي] يُنظر : سلطان السبهان/https://ar.wikipedia.org/wiki

[2] يعد المنهج الإنشائي منهجا نقديا حديثا ، وينتمي إلى عالم البوطيقيا التي تهتم بالسمات الشعرية والجمالية والأدبية للنصوص، وقد ترجم مصطلح (Poetics) في الدراسات الحديثة إلى عدة مصطلحات منها الشعرية ،الإنشائية، الشاعرية، علم الأدب، بوطيقيا، وغيرها. تفصيلا أنظر : الناظم، حسن مفاهيم الشعرية(دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، ط1 (بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994م) ص 18.

"ويعود ظهور الإنشائية ومصطلحها إلى أرسطو في كتابه "فن الشعر" ... والإنشائية نظرية من نظريات الأدب تقتطع من الحقل الأدبي موضوع دراسة مخصوصا هو حسب عبارة أرسطو، الفن الأدبي بوصفه إبداعا قوليا، أو الخطاب الأدبي في منظور البنيويين الإنشائيين" مجموعة من المؤلفين: معجم السرديات ، إشراف: محمد القاضي، ط1، (تونس، دار محمد علي للنشر، 2010م) ص 43.

ويرى "تزودروف"- أحد أعلام الإنشائية - أن هذا المنهج يسعى لمعرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل، وتبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته ويقول أن ليس العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الي هو الخطاب الأدبي، ويرى أن هذا العلم لا يُعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن، وبعبارة أخرى يعنى بتلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي، أي الأدبية. أنظر: تزودروف: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط2، (المغرب، دار توبقال للنشر، 1990م) ص 23.

الخطاب النوعي ، كما أنه يعنى بالكشف عن مرجعية الرموز في النص، ودلالاتها، وأنساقها الاجتماعية والثقافية، وبيان الطبيعي منها والمخترع فيها، بالإضافة إلى إبراز الدلالات الإيحائية للرموز بتفكيك وحداتها، ومعرفة مدى تقابلها أو تناظرها.

وقد قُسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، تتناول المقدمة موضوع البحث ومنهجه و سبب اختياره و أهم المباحث التي ذكرت فيه.

وجاء التمهيد للحديث عن مفهوم الرمز، ونشأته، وأنواعه، وأما المبحث الأول، فقد ضم بين طياته نماذج تتجلى فيها شعرية الرمز الطبيعي، وجاء المبحث الثاني لدراسة الرمز التاريخي (الديني والتراثي) في الديوان، ثم جاء المبحث الثالث للولوج للعالم اللوني عند الشاعر فتناولت الرمز اللوني في الديوان، ثم ختمت البحث بخاتمة اشتملت على أهم نتائج البحث.

وبالله التوفيق!

أما جاكبسون فيرى أن موضوع الشعرية أو الإنشائية هو قبل كل شيء، الإجابة عن سؤال هو: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا؟ ويقول أن: الحق للشعرية أن تحتل الموقع الأول من بين الدراسات الأدبية. أنظر: جاكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، (المغرب، دار توبقال للنشر، 1988م)، ص24.

وبوسعنا أن نقول أن الإنشائية تهتم بكيفية بناء العمل الأدبي، وتحليله بشكل دقيق لمعرفة كيف رتب الأديب أفكاره ومشاعره، وكيف تفاعل الشكل مع المحتوى داخل النص، ولهذا المنهج أهمية خاصة في فهم جماليات النص الأدبي وكيفية تأثير هذه الجماليات على المتلقي، ودراسة خصائصه وملامحه وسماته.

التمهيد:

يلجأ المبدع إلى الرمز بتوجيه من تجربته الشعورية المضطربة التي لا يمكن التعبير عنها إلا بالصور الرمزية دون غيرها، لأنها ذات إيحاء جم، ومظهر إيجاز واضح، ويطلق الرمز في المعاجم على:

(أ) الإشارة بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو اليد أو الفم أو اللسان.
(ب) يرى بعضهم أن أصل الرمز هو الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم، ومنه قول الله تعالى " قال آيتك ألا تكلّم الناس ثلاثة أيّامٍ إلا رمزا " (سورة آل عمران آية 41)
(ت) قيل إنه الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم، ثم استعمل حتى صار كالإشارة[1].

وهناك اتجاهات مختلفة تناولت الرمز ، وعرضت له إلى مستويات أربعة كانت أساسا لدراسته وهي: المستوى العام – المستوى اللغوي – المستوى النفسي – والمستوى الأدبي)

فالاستعمال العام فينظر له على أنه قيمة إشارية، أما الاستعمال اللغوي فقد ذكر الدكتور محمد فتوح تعريف أرسطو – الذي رجح أنه أقدم من تناول الرمز على أساسه- وريتشادز وأوجدن وستيفن أولمان، ورأى أن الرمز على المستوى اللغوي لا يتعدى القيمة الإشارية، ويكون الرمز على المستوى النفسي نتاج الخيال اللاشعوري – كما يرى فرويد- أما كارل يانج يرى أن الرمز يُستمد من الشعور واللاشعور ممتزجين، أما الرمز الأدبي فإنه يتفق مع المفهوم العام لمعنى الرمز في أن كلا منهما يحمل قيمة إشارية من نوع ما، وفيما عدا هذا يتميز الرمز الأدبي بأن ما فيه من إشارة ليس أساسه المواضعة أو الاصطلاح كما هو الحال في الرموز العامة، وإنما أساسه اكتشاف نوع من التشابه الجوهري بين شيئين اكتشافا ذاتيا غير مقيد بعرف أو عادة؛ فقيمة الرمز الأدبي تنبثق من داخله، ولا تضاف إليه من الخارج .[2]

وبهذا المفهوم يمكن تحديد الرمز الأدبي بأنه : "كلمة أو إشارة أو تعبير آخر يمتلك مركباً من المعاني المترابطة".[3]

فالرمز الأدبي تركيب لفظي يستلزم مستويين: مستوى الصورة الحسية التي تؤخذ قالبا للرمز، ومستوى الحالات المعنوية التي نرمز إليها بهذه الصور الحسية.

ويتحقق بهذا للرمز ما يصبو إليه من الأصالة والابتكار، وهو يتحرك بحرية كاملة بين طبيعته الحسية وتركيبته التجديدية، معتداً على الحدس والرؤى التي تساعد على فتح مجالات رحبة، وتعين على تكوين أنساقه الخاصة به داخل نسيج العمل الأدبي.

---

[1] - الجندي، درويش: الرمزية في الأدب العربي، د:ط (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر)، ص41.
[2] - أحمد، محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط2(القاهرة: دار المعارف، 1978م).ص 33: 37.
[3]- كندي، محمد علي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ط1 (بنغازي: دار الكتب الوطنية، 3003م)، ص53

ويتكون الرمز من أصغر وحدة مكونة في مبناه، وهي الصورة فصاعداً، حتى البنيان العضوي للقصيدة ككل، ينسرب هذا الفعل السحري للّاوعي ومكنوناته كما تعكسه آراء الشعراء والنقاد والباحثين.

وهكذا يأتي الرمز من أدق تفاصيله حتى مبناه الكلي في سياقه خالياً من القصدية تماماً، فهو اختيار عشوائي صرف، يولد عندما يستبطن الشاعر أغوار نفسه البعيدة، ويستمد من مخزونها الرموز المتباعدة في الزمان والمكان ليعبر عن شعور، أو فكرة أو حالة نفسية [1]، ويرى أدونيس أن للرمز قدرة إيحائية فهو " ما يتيح لنا أن نتأمل شيئا آخر وراء النص؛ فالرمز قبل كل شيء معنى خفي وإيحائي"[2]

وقد يكون للرمز دلالات إيجابية، على حين يرمز بعضها على دلالات سلبيات "وبذلك يكون الرمز وسيلة للكشف عن إيجابيات وسلبيات المجتمعات مما يؤدي إلى ردة فعل لتصحيح القيم والاتجاهات"[3]

ومهما تكن الرموز التي يستخدمها الشاعر ضاربة جذورها في التاريخ، ومرتبطة عبر هذا التاريخ بالتجارب الأساسية النمطية، فإنه حين يستخدمها الشاعر المعاصر لابد أن تكون مرتبطة بالحاضر، بالتجربة الحالية، وأن تكون قوتها التعبيرية نابعة منها؛ فالقيمة كامنة في لحظة التجربة ذاتها، وليست راجعة إلى صفة الديمومة لهذه الرموز ولا إلى قدمها.

وعندما يستخدم الشاعر كلمات مثل " البحر، القمر، الريح،..." فإنه يستخدم عندئذ كلمات ذات دلالة رمزية، وربما كانت بعض هذه الدلالات – على الأقل- مشتركة بين معظم الناس، لكن استخدامه لها لن يكون له قوة التأثير الشعري مالم يحسن الشاعر استخدام العلاقات أو الأبعاد القديمة لهذا الرمز؛ إذ الرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصاً.

وينبغي أن ندرك بوضوح أن استخدام الرمز في السياق الشعري يضفي عليه طابعاً شعريا ، بمعنى أنه يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النفسية [4].

فاللغة والأسلوب لا تخضع للمبدع وحده، وتجربته المعاصرة، بل تخضع كذلك لظروف الشخصية وملابساتها، ولهذا تختلف اللغة من قصيدة لأخرى، فتوظيف شخصية أسطورية مثلاً يستدعي مفردات وتراكيب تختلف عن تلك التي يستدعيها السياق في توظيف شخصية تاريخية،

---

[1]- نصر الله، هاني: البروج الرمزية دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة، ط1 (إربد: عالم الكتب الحديث،2006م)، ص 31.

[2]- أدونيس: زمن الشعر، ط3 ،(بيروت دار العودة، 1983م) ،ص 160.

[3]- انظر: الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، إربد، الأردن، نشر بدعم من جامعة اليرموك 1980م، ص241، والبستاني، صبحي: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، دار الفكر اللبناني، ط1968م، ص194.

[4]- إسماعيل، عز الدين : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط6(الجيزة : المكتبة الأكاديمية، 2003م)، ص 172.

وكذلك فإن أسلوب القصيدة الناهضة على شخصية صوفية يختلف عن أسلوب القصيدة التي تعتمد شخصية فكرية أو سياسية، وهكذا .

وفي ضوء هذا يحق لنا أن نتأمل رموز الشعر العربي المعاصر القديم منها والجديد، الأسطوري وغير الأسطوري، لندرك مدى توفيق الشاعر أو إخفاقه في استخدامها استخداماً شعرياً بحق.

وهناك عدة أنواع للرمز بحسب المادة و الهيئة و المضمون، فمنهم " أبرامز" الذي قسم الأنواع إلى :

- رموز تقليدية أو عامّة، مثل: الصليب، و البياض، مما استقرت دلالته و أصبحت ثابتة في ثقافة ما.
- رموز خاصّة أو شخصيّة مما يطوره الشعراء، مستثمرين ما يكتنزه الرمز من ترابطات واسعة، مثل: ارتباط الطاووس بالكبرياء، وشروق الشمس بالولادة.. إلخ، والشعراء في الغالب يستخدمون الرموز بدلالات خاصة بهم؛ رغبة في التجديد أو التّميز و إضفاء طابع التجربة الشخصية على الرمز من خلال عزل " ماضي الرمز" أو ميراثه الراسخ في الدلالة[1].

إن الرموز المواراة في نتاج الشاعر أو الأديب – وخاصة الرموز الخاصة -، هي التي تستند إلى حقائق يمكن الوصول إليها، ومن ثم فإن أية دراسة تتناول رمزاً أو رموزاً ثم لا تستطيع كشف الحقائق التي تتضمنها والتعبير عنها فإن بها مشكلة ما، فإذا أخذت الدراسة بالدوران حول الرمز وتحسس سطوحه دون مساس أعماقه تكون قد عجزت عن المهمة التي نذرت نفسها لها.

وميّز " با جنيني" بين خمسة أنواع من الرموز الأدبية كما يلي:

- رمز يسيطر بشكل مركزي في عمل أدبي واحد، مثل: المطر في قصيدة " أنشودة المطر" للشاعر بدر شاكر السياب.
- رمز يظهر من حين لآخر في نتاج أديب ما، ويتطور في أعماله المختلفة حتى يكتسب أهمية خاصة في مجمل هذه الأعمال، ويصبح له دلالة مميزة في داخلها مثل: جيكور و وفيقة وبويب عند السياب أيضاً.
- رمز ينتقل من شاعر لآخر و يكتسب دلالة جديدة في كلّ سياق مختلف، مثل: السندباد في أعمال السياب وصلاح عبد الصبور وخليل حاوي وغيرهم.
- رمز يمارس وظيفته في إطار ثقافة ما، مثل: البُراق (في حادثة الإسراء)، وهو جواد الحلم الأشهب عند السياب.

[1] - نصر الله، هاني: البروج الرمزية دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة، مرجع سابق ،ص 36.

- رمز يتردد في ثقافات مختلفة ليس بينها علاقات تاريخية، محافظاً على دلالاته فيها جميعاً، مثل: تموز أو أدونيس، عشتار أو أفروديت، الليل والبحر وغيرها[1].

أما الدكتور محمد فتوح أحمد فذكر أن أنواع الرمز هي:

- الرمزية الجمالية الخالصة.
- الرمزية الميتافيزيقية أو رمزية ما وراء الواقع.
- رمزية التعبير وبناء الصورة على التراسل والتجسيد والتشخيص.
- الرمزية النفسية.
- الرمزية الأسطورية [2].

[1] - المرجع نفسه : ص 38.
[2] - أحمد، محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، مرجع سابق، ص452.

المبحث الأول

الرمز الطبيعي :

كانت الطبيعة وما زالت مصدر إلهام الشعراء؛ فقد استقى كثير من الشعراء صورهم الشعرية من رحم الطبيعة، واتخذوا عناصرها رموزا تعبر عن مشاعرهم، وما يرد بخاطرهم، فالشاعر جزء لا يتجزأ من هذا الوجود، لا يستطيع أن ينسلخ عنه أو يتجاهله، فهو منخرط في الطبيعة يتعامل مع زهورها وطيورها، وبحارها و أرضها وسمائها ... وهو يستمد رموزه من الطبيعة بعد صهر عناصرها وإعادة تشكليها وتوظيفها ومنحها دلالات جديدة تتلاءم مع تجربته الشعورية ورؤيته للواقع، وكأنه يقوم عن طريق إبداعه الشعري "بإعادة فهم الوجود ومساءلة الكينونة لتأسيس رؤية الاكتناه العميق"[1] فالرمز هو حلقة الوصل بين المبدع والمتلقي "حيث يُوظفه المبدع للتعبير عن فكرة أو موقف أو مشاعر معينة ينطلق من الواقع، لذلك يعرف بأنه " رؤيا شعرية ذاتية تعيد تشكيل الواقع وصياغته" [2] .

وكل شاعر يستخدم مفردات الطبيعة بطريقة مغايرة عن غيره؛ فهو يخلع عليها مشاعره ويلونها بأفكاره، حيث أنه يستخدمها استخداما رمزيا، ولا تكون هناك كلمة هي الأصلح من غيرها لكي تكون رمزا، إذ المعول في ذلك استكشاف الشاعر للعلاقات الحسية التي تربط الشيء بغيره من الأشياء"[3]

ومن خلال هذه الدراسة لاحظت أن الشاعر اتكأ على عناصر الطبيعة في توظيفه الفني للرمز؛ ليصبح الرمز الطبيعي ملمحا فنيا برازا في ديوانه، فقد شكلت عناصر الطبيعة معظم قصائده، فنراه يهدي ديوانه قائلا:" **إلى ظل الأصدقاء من حولي .. حين يكبر ويكبر ، كلما زادت شمس الحياة توهجا"**[4]

وهنا يتجه الثقل الدلالي في النص حول **الشمس**؛ لتكون رمزا للحياة والإشراق والميلاد، خاصة عندما تكون متوهجة منيرة تبعث نورها في الكون فتبدد ظلامه، وترسل أشعتها فتذهب برودته، والشاعر يهدي عمله إلى ظل أصدقائه المقترن دوما بوجودهم، هذا الظل الذي يكبر ويتضح كلما ازداد شروق الشمس وهذا أمر معروف ، فأطول الظلال تكون عند شروق الشمس.

والشاعر عندما يهدي عملا كهذا لظلال غير معروفة أصحابها، فهذا دليل على معاناته وحيرته وتخبطه وتيهه، وتمسكه حتى بظلال الأصدقاء ووفائه لها؛ فتلك الظلال تشاركه آلامه ووحدته وأحزانه، وقد نجح الشاعر بعدم قصدية الإهداء لأحد بعينه في استمالة القارئ وإثارة ذهنه للكشف عن هوية هؤلاء الأصدقاء داخل ديوانه، وربما كانت عدم قصدية الإهداء؛ ليكون هذا العمل موجّها لكل

---

[1] - عياد، محمد ، الزمن والشعر ، ،(المغرب، علامات : مجلة ثقافية ، العدد 17 2000 م) ، ص 40.

[2] - أحمد، محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص 164.

[3] - - إسماعيل، عز الدين : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، ط6(الجيزة: المكتبة الأكاديمية، 2003م) ، ص 198.

[4] - السبهان، سلطان: ديوان ما لا يجيء، ط1 ، دار تشكيل للنشر والتوزيع 2018 م، ص 5 .

روح أتعبتها الحياة، وظلت منتظرة على قارعة الطريق، أرواح مهمشة كالظلال حاضرة وغير حاضرة في الوقت ذاته.

ويستمد الشاعر من الطبيعة عنصرا آخر هو **"المطر"** وغالبا ما يحمل المطر دلالات الخصب والنماء والإرواء ، والبعث والحياة ... وقد وظفه كثير من الشعراء المعاصرين بهذه الدلالات المعروفة ، كذلك رمز بها الشعراء إلى دلالات مغايرة، وقد نجح السبهان في توظيف لفظة المطر وشحنها بدلالات جديدة وانزاح عن دلالته المعروفة فنراه يقول :

سأغيب.. والمطر الفصيح قصائدي

وستنبتين :

رسائلا وأقاحي [1]

وتظهر في الأبيات ثنائية ضدية وهي الغياب والحضور محورها المطر ، تتمثل في(سأغيب/ستنبتين) فالشاعر يخاطب محبوبته التي حكم القدر بفرقتهما، ويستخدم المطر رمزا لعطائه وحبه الذي لا ينتهي رغم غيابه، ويجعل نفسه في منزلة العلو(السماء) التي يتنزل منها المطر على أرضه المعطاءة(محبوبته) فتنبت زهورا بسبب مطره ، وكأنه يقول لها: إن غبت فسيكون نبتي حاضرا مثمرا .. وهذا يمثل قمة التفاني والعطاء ؛ فهو حاضر فيها ومنبتها ومحييها، حتى وإن رحل، وقد جعل هذا المطر فصيحا؛ ليرمز به إلى شعره وأكد ذلك بإنبات الرسائل، وقد آثر الشاعر ذكر **الأقحوان** تحديدا بلونه الأبيض الناصع الذي يبعث في النفس الراحة والطمأنينة لما يرمز به هذا النبات إلى النقاء والبراءة والولاء، وجاء جمعا ليدل على فيض عطاء الشاعر.

ونجد الشاعر يستخدما رموزا أخرى تتعلق بالمطر كالعشب والاخضرار والإنبات والزراعة وغيرها، وقد هيمنت رموز الطبيعة على قصيدة (عُتبى وطن) فحاول الشاعر تسخير الطبيعة لإيصال أفكاره وما يجول بخاطره من أفكار ورؤى ومشاعر، فنجده يستمد منها **الشمس والسنابل، والزرع، والحمام والنيل والنخيل والضوء والرمل والأودية والسماء**... وكل رمز من الرموز التي استدعاها الشاعر ارتبط بفكرة معينة أراد التعبير عنها .

والقصيدة تعبر عن حب الشاعر لوطنه رغم تشكيك الوشاة فيه ومحاولة قتل روح الإبداع والتغني بهذا الحب، والشاعر يستمد من الطبيعة رموزا ليؤكد لنا محبته لوطنه هذا الحب الذي كان بمثابة مصدر إحياء للوطن، ويقول أيضا :

إيماننا بك

إيمان السنابل لم

تخلف لها الشمس وعدا

رغم ما قيلا [2]

---

[1] - الديوان : ص 26 .
[2] - الديوان : ص 20 .

فيحيك الشاعر نسيج محبته ويشهد عليها الطبيعة؛ فيختار **السنابل** رمزا للرفعة والشموخ ، **والشمس** رمزا للإشراق والبدايات السعيدة الأبدية الدائمة، ويستدعي **زوج الحمام** بساحة الحرم في حالة يتناغى، رمزا للألفة والسلام والطمأنينة فيقول:

وحبنا لكَ

ما زوج الحمام إذا

ناغى بساحة البيت قنديلا [1]

كما جاء **النخيل** رمزا للشموخ والأنفة والكبرياء، فيقول :

معتق أنت في بال النخيل فما

يهتز نخلك

إلا فحت ترتيلا [2]

و يأتي **بالضوء** رمزا للكشف الحقائق، في قوله :

نعاتب الضوء لكن ..

حين يمنحنا " معناه"

ننسى به ما كان " تأويلا " [3]

كذلك يستدعي الشاعر **الرمل** ويرمز به للتراث والأصالة ،فيقول :

الرمل:

مرآتنا الأولى ، تشقق عن

ملامح الأهل ما شئت تشكيلا [4]

وعندما أراد أن يتحدث عن الحاقدين المتلونين رمز لهم **بريش** أجنحة الطيور، الذي اجتث من جذوره وتطاير في السماء؛ فكدر صفوها، فقال:

لم تختلط في سماء الله أجنحة

دع عنك

من رفرفوا بالريش تضليلا [1]

---

[1] - الديوان : ص 20 .
[2] - الديوان : ص 20 .
[3] - الديوان : ص 21 .
[4] - الديوان : ص 21 .

يستمد الشاعر من الطبيعة اللون **الأخضر**، وقد ربط سيميائية الاخضرار برؤيته للأشياء؛ فيقول متحدثا عن القهوة:

اذهب لها بعد اخضرار الوقت ..

والمسها بكف الحب [2]

فقد اختار الشاعر وقت الذهاب القهوة بعد أن تؤتي بثمارها وتنضج وتكون طازجة جديدة؛ والاخضرار هنا يرمز للحيوية والنضارة والجمال، كذلك توحي بالتجدد، واستمرارية شرب القهوة، ووصف الوقت هنا بالاخضرار يبعث الراحة والاسترخاء والهدوء، فالشاعر يحث القارئ على تتابع رشف القهوة وصولا للسكر، فلا عيب ولا نقص في ذلك ، فيقول:

خذها فما لفم ..

ولا تخجل إذا قال المسامر قد سكرت..

فإن قهوة قومنا :

" سكر شريف" ! [3]

ويزرع الشاعر في بستان أحبته الأغنيات رمزا للعطاء وبذل كل ما يقدر عليه إرضاء لهم، والتقرب منهم فيقول:

زرعنا الأغنيات لهم

وحين تفتحت ...

غابوا

وأغفى ورد شرفتهم

وأغمض جفنَه البابُ [4]

وتفتح الزهور(الأغنيات) هنا دليل على اهتمام الشاعر بها وعدم إهمالها ومتابعتها فهو يسقيها من نبع عشقه لهم، ورغم ذلك غاب الأحبة وتركوه وتركوا زهوره ووروده المتفتحة، ويجعل **الورد** يغفو ويغمض جفنه حزنا على غياب هؤلاء الأحبة وهو رمز للانكسار؛ فعندما يحزن الشاعر تشاركه الطبيعة أحزانه وانكساراته ، ويوظف الشاعر عنصرا آخر من عناصر الطبيعة

---

[1] - الديوان : ص 21 .
[2] - الديوان : ص 35 .
[3] - الديوان : ص 36 .
[4] - الديوان : ص 48 .

فيقول:

أنا شاعر والماء

يجري يافعا

شيخوخة الأشياء أن تتكررا [1]

ويشكل حضور **الماء** في النص بعدا دلاليا يقودنا إلى بنية النص الدلالية المنبثقة من فكرة جمود فكر الشعراء وتجدده، ليكون الماء رمزا للتجدد والتغاير والتحرر من فكرة التقليد والتكرار ، فالشاعر في هذه القصيدة يرى أن كل شاعر مختلف عن غيره، وأن إبداع كل شاعر ما هي إلا مشاعره التي مرت بذاته وانعجنت بأجزائه، فقرر أن يبوح بها، ويمنح قصائده طابعا خاصا يميزها، فيكون شعره ممتزجا بذاته آخذا من روحه وحياته.

وقد أكد الشاعر ذلك بجريان الماء؛ فعندما وصف نفسه بأنه شاعر متجدد يمنح شعره الحياة ويشكله تشكيلا خاصا، أتى بصورة الماء الجاري الذي يتشكل وينساب ولا يتوقف، وجعله يافعا دليلا على قوة جريانه واندفاعه وعنفوانه، ثم أكد أن الركود والتوقف (التكرار) مآله الانتهاء والموت.

[1] - الديوان : ص 16.

المبحث الثاني :الرمز التاريخي:

يعد استدعاء الشعراء للتاريخ نوعا من أنواع الأصالة، كما أن لهذا الاستدعاء دورا في إبراز القيم الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية، ويختلف استدعاء الشاعر للتاريخ عن سرد المؤرخين، وكُتَّاب السيرة والمترجمين فالشاعر حين يستخدم الرمز التاريخي فإنه يلمِّح بكلمة أو بنص، أو بقصة دون أن يتوسع في سرد أحداثها، وهذا الاستدعاء الرمزي يجعل القارئ يسافر إلى الماضي المجيد، ويتذكر الأجداد ويعيش معهم، فيشعر بالانتماء وتزداد ثقته بنفسه ويفخر بهويته، وبهذا يكون التراث بالنسبة للشاعر "الينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره الشعري الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها، والحصن المنيع الذي يلجأ إليه كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمن والسكينة" (1)

أولا:الرمز الديني :

استلهم كثير من الشعر رموزا خالدة من التراث الديني، يستوحون منه مادة ثرية لشعرهم تزيده تشويقا وإثارة؛ فكانت الشخصيات الدينية (كالأنبياء والوعاظ وغيرهم) والقصص الدينية (كقصة هابيل وقابيل وقصة يوسف وقصة مريم ...) متكأ للشعراء في إبداعاتهم وتشكلاتهم الرمزية، وراحوا يسقطون هذه الرموز على حاضرهم، وقد تعامل معظم الشعراء مع الموروث الديني الإسلامي بحذر، بينما نجد بعض الشعراء يتعاملون مع رمز المسيح ويطلقون لأنفسهم العنان في التأويل والتغيير وشحن هذا الرمز بدلالات جديدة تلائم واقعهم.

وقد وظف الشاعر ببراعة التراث الديني؛ فنجده يستحضر شخصية (قابيل) ؛ليجعله رمزا للحقد والغل والكراهية، لمن يكرهون الشاعر ويريدون إبادة روح الإبداع فيه، ومعروف أن(قابيل) من الشخصيات الدينية المنبوذة كما وصفها الدكتور علي عشري زايد، التي يرى أنها "الشخصيات التي ارتكبت خطيئة فحلَّت عليها اللعنة ...وعلى قمة هذا الفريق يقف الشيطان ويتلوه في الصف قابيل بن آدم أول قاتل على وجه الأرض متحديا إرادة أبيه وإرادة الله"(2) وقد هيمنة روح (قابيل) على النص معجما ودلالة ؛ فيبدأ الشاعر بالقتل فيقول :

من يقتلون المعاني فيك - تعليلا-

هم الأشد على الأرواح تقتيلا

الضائقون بسلطان الكلام هنا

جهلا ..

يعيدون فينا اليوم قابيلا [3]

كذلك يجعل الموت نباتا يزرع ، رمزا لانتشاره فيقول :

---

[1] - زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د:ط (القاهرة: دار الفكر العربي، 1997 م) ص 7.

[2] - زايد، علي عشري: المرجع السابق ص 98.

[3] - الديوان : ص 19 .

حتى متى يزرعون الموت يا وطني ؟ [1]

إلى أن ينهي القصيدة بالاغتيال، فيقول:

لعل في الحب ..

ما نحتاج من لغة

لكي نرمم في الإنسان ما اغتيلا [2]

فالشاعر يتمنى أن يجد لغة ترمم ما دمرته الحياة في الإنسان، وما مات بداخله، ويهدف الشاعر من استخدامه هذا الأسلوب إلى توليد نوع من الإحساس العميق بالمفارقة بين ما يأمله ويتمناه، وما عليه واقع الحال، ولعل ذلك يشي بحالة اليأس التي باتت تهدد الشاعر[3].

ويسافر بنا الشاعر إلى زمن الجاهلية، ليستدعي الموروث الفكري الجاهلي؛ فرغم محاربة الإسلام لها ظلت ملامحها عالقة في أذهان الشعراء، يستدعونها في أشعارهم، متخذين منها رموزا فنية تعبر عن رؤيتهم وموقفهم تجاهها، وتعد عبادة الأصنام من الطقوس الدينية التي عرفها العرب في الجاهلية، وقد استدعى الشاعر هذا الرمز الديني في سياق حديثه عن زيف التمسك بالقيم والحكم في هذا الزمان؛ فالشاعر لم يستطع أن يواجه بقيمه ومبادئه زيف هذا العالم ، الذي دوما يصاب فيه بالخيبات، فيقول في قصيدة (**أصنام**):

لنا صنمٌ من الحِكمِ القديمةِ لا نغادرُهُ

نجوع لكي نزخرفَهُ..

ونأكل منه إن جُعنا[4]

فنجد أن الشاعر امتص عبر نسيج هذا الموقف الطقس الديني المعروف في الجاهلية، المتمثل في صناعة الأصنام؛ فقد كان العرب في الجاهلية يصنعون أصنامهم من التمر، ويزعمون أنها آلهة فيعبدونها، فإذا جاعوا أكلوها **!!** والشاعر انزاح بدلالات هذا الرمز قليلا عن الأصل؛ لتأدية دلالات جديدة يمليها عليه الموقف، فاستبدل التمر المستخدم في صناعة الصنم بالحكم القديمة، ولكنه اتفق مع الجاهليين في عدم مغادرة صنمهم، وبذل الغالي والنفيس في تصميمه وزخرفته، ثم أكله أيضا، إلا أن صنم الشاعر مغايرا لصنم الجاهلية؛ فهو لم يتخذه إلها مثلهم، ولكنه اتخذه رمزا للثبات والصمود، فدوما ما نشبّه الشيء الثابت الذي لا يتحرك بالتمثال أو الصنم؛ فالحكم والقيم التي تقبع بداخل الشاعر، رغم رسوخها وعدم زعزعتها، إلا أنها تُلتهم كالطعام ويُمحى أثرها في هذا العالم البائس، الذي لا شيء فيه يشجع على شد العزائم.

---

[1] - الديوان : ص 19 .
[2] - الديوان : ص 22 .
[3] - كندي، محمد علي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ط1 (بنغازي: دار الكتب الوطنية، 3003م)، ص291
[4] - الديوان : ص 79 .

ويستحضر الشاعر شخصية المسيح؛ فيمزج بين الملامح الثلاثة (الصلب- الفداء- الحياة من خلال الموت) في قصيدة " وادي الكلام " التي يستهلها بالحديث عن الموت :

إن متُ ..

يكفي أن يكون عزاءَ:

" حاولتُ أن أتعلم الأشياء"

صيرت أقلام التأمل أسهما

فعلى الحقائق ..

أن يكنَّ ظباءَ [1]

فيجعل الشاعر ما تعلمه عزاء له وقت موته، فما سيخلفه من علم سيخَلد ويبقى، والشاعر يتّخذ المسيح رمزاً للتعبير عن حالته النفسية، ولذلك فهو الميت الذي سيترك علمه لينفع من بعده، وتجربة القصيدة في مضمونها العارم تصوّر تضحية الشاعر في سبيل غيره، وموته في سبيل بعثها، مستغلاً في ذلك فكرة صلب المسيح وفدائه للعالم، أو حياةً العالم من خلال موته؛ بعدها يستحضر شخصية آدم عليه السلام ويتحد بها اتحادا تاما فيقول:

التسميات خلاصنا

أو وهمُنا

والله علم آدم الأسماء [2]

فيؤكد علمه ومعرفته وأن الله قادر كما علم آدم كل شيء أن يجعله عالِما، وتمور القصيدة بصراعات كثيرة يشعر بها الشاعر إلى أن يصل لنهاية القصيدة ويعود ثانية لفكرة الصلب فيقول :

عن بندقية والدي مصلوبة

بجدارنا

.. وتسامرُ الأحياءَ [3]

يغادر الشاعر وضعية الإحالة الجزئية على الرمز (المسيح) ليعتمد هذا الأخير رمزاً كليّاً وعاماً شُيّدت القصيدة بأكملها على أساسه، وفكرة البعث من خلال الموت؛ ففي الوقت الذي يستعير لنفسه بعض ملامح تجربة المسيح، يضفي أيضاً فكرة الصلب على الأشياء، فيجعله لبندقية والده، ورغم أن البندقية هي أداة الموت وسببه؛ إلا أن الشاعر قلب الموازين وجعلها تسامر الأحياء بدلا من أن تبث في قلوبهم الرهبة والخوف، فصلْبها هي موت لها، غير أنها لم تمت ولكنها ظلت تسامر الأحياء وتبث في قلوبهم الأمن والطمأنينة.

---

[1] - الديوان : ص 8 .
[2] - الديوان : ص 8 .
[3] - الديوان : ص 10 .

ويؤكد الشاعر فكرة البعث من خلال الموت؛ فيجعل الفأس التي تكون سبب قطع الغصون وموتها، أختا للغصون، كذلك يجعل الموت بقاء، وكأن الموت حياة لا فناء :

الفأس:

أخت للغصون رضاعة

والموت ..

يوشك أن يكون بقاءَ [1]

وعندما يريد أن يصف الشاعر حاله البائس وحياته المظلمة وواقعه المرير، قبل أن تدخل محبوبته حياته، يستحضر قصة يوسف عليه السلام – وهي من أكثر القصص التي أثرت في الشعراء ولفتت أنظارهم- ويستضيفه في النص؛ ليؤكد صدق ما يقول، ويذكر الجب المظلم البعيد الذي أراد أخوته أن يلقوه في أعماقه، حتى لا يعرف مكانه أحد، ليكون الجب رمزا للغدر والخديعة ؛ فهكذا تفعل الدنيا بالإنسان فيقول :

من قبلها

ألقتِ الدنيا بناصيتي

والليلُ جُبُّو أحزاني غيابتُهُ [2]

ويستعدي الشاعر شخصية (نوح عليه السلام) وقصته مع قومه ليتخذه رمزا للصبر والمعاناة، في قوله:

وصنعتُ من أعواد صبري .. مركبا

يا للمراكب ..

حين تخذل نوحها

موج من التحنان أغرق خافقا

لم تبقَ فيه بقيةٌ [3]

ويقوم النص بأكمله على المعاناة بدءا من العنوان (أعواد الصبر) حتى نهاية النص؛ وتنبثق دلالات الصبر من خلال توظيف الشاعر لقصة نوح بمضامينها ودلالاتها بما يتلاءم مع النص وتجربة الشاعر، فقد انبثقت دلالات القصة من عمق معاناة النفس، تلك المعاناة التي ألحت على الشاعر ودفعته لاستدعاء هذه القصة الدينية، وتتماهى ذات الشاعر وتتحد مع شخصية (نوح) في النص، فكما صنع نوح سفينته، صنع الشاعر مركبه، غير أن ألواح مركب الشاعر ليست خشبا وإنما أعوادا من الصبر؛ وهذا دليل على معاناة الذات، وصمودها وتحملها في صنع مركبه الذي يمثل نجاة

[1] - الديوان : ص 11 .
[2] - الديوان : ص 54 .
[3] - الديوان : ص 86 .

لأحبته، ثم يتعجب الشاعر من خذلان المراكب لصناعها ومنشئيها؛ كيف تنسى فضلهم وتخذلهم؟ وتكون سببا لغرقهم لا لنجاتهم؟

وهنا ينزاح الشاعر عن أصل القصة بما يتلاءم مع قصته؛ فسفينة نوح أنجته ولم تغرقه بفضل الله، ونجّى نوح والمؤمنون، لكن سفينة الشاعر تُغرق صاحبها وتغدر به وتنكر فضله، بسبب أمواج التحنان المتلاطمة؛ فهو يجعل كثرة حبه وشوقه لأحبته سببا في غرق مركب حبه؛ فكثرة الشيء أحيانا تتسبب في موته، كمن يغرق الورود بالماء فتموت؛ ويأتي غرق خافق المركب، دليلا على غرق المركب بأكمله، فلم يبق منه شيئا؛ وبذلك فقد أعاد الشاعر تشكيل بناء هذه القصة بأبعاد ورؤى تخضع لرؤيته الذاتية، فتضاد بعض الشيء من النص الأصلي" فالمبدع من حيث المستوى الدلالي سيتخذ أحد سبيلين: الأول: التماثل الرؤيوي بين النصين؛ النص المستدعى الغائب، والنص الشعري الحاضر، والثاني: التضاد الرؤيوي بينهما"[1]

ثانيا: الرمز التراثي :

يشكل التراث مرتكزا دلاليا يقوم عليه بناء القصيدة أثناء عملية التشكيل بالرمزي، فالرمز التراثي يلعب بجوهره الدلالي ومدلوله الإيحائي دورا كبيرا في تشكيل النص الشعري المعاصر، ويمد النص بطاقات إيحائية لا تنفد ، تؤثر في المتلقي، وتمنحه قيما حضارية وإنسانية، والشاعر يحاول من خلال توظيفه للرمز التراثي أن يعالج قضايا واقعه ومعاناته الحاضرة ويقارنها بالماضي آملا في تشكيل واقع أفضل لعالمه.

وقد استدعى الشعراء كثير من الشخصيات المؤثر كالمتنبي وامرئ القيس وعنترة وقيس وصلاح الدين الأيوبي ... وغيرهم من الرموز التي كانت لها بصمة في التاريخ ، وقد يبقي الشاعر هذه الرموز بدلالتها الحقيقية ، وأحيانا يخرجها من طورها الحقيقي ويشحنها بدلالات مغايرة لما كانت عليه في الحقيقة " على أنه من الملحوظ أن الشخصيات التي حظيت بالقدر الأعظم من اهتمام شعراءنا المعاصرين هي تلك التي ارتبطت بقضايا معينة، وأصبحت في التراث رمزا لتلك القضايا وعناوين عليها"[2]

وقد استطاع السبهان توظيف الرموز التراثية في ديوانه بما يتناسب مع مضامين القصيدة وتجسيد الواقع ، وتمثل قصيدة "رياح عامرية " منعطفا تراثيا مفعما بالإيحاءات والدلالات العميقة التي تعبر عن رؤية الشاعر ، ويستهل الشاعر قصيدته بتصوير معاناة المحبوبة والشاعر فيقول:

يا عامرية آن أن ترتاحي

قيس الحكاية ضاق بالألواح [3]

---

[1] - الخطيب، رحاب مصطفى ، معراج الشاعر: مقاربة أسلوبية لشعر طاهر رياض، بيروت، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2005م ، ص117 .

[2] - زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 138.

[3] - الديوان: ص 24.

وتنبثق دلالات الرمز التراثي من عمق معاناة الذات ؛فيستحضر الشاعر شخصية " قيس " وليلى العامرية " ويمحو كل هذه الهوة الزمنية، ويبحر بنا إلى الماضي، ليسقط حكايته عليه، وكأننا نعيش فيه ونرى شخصياته حاضرة أمامنا؛ ونشهد قصة جميلة للحب العذري، يتقمص فيها الشاعر شخصية قيس بن الملوح، وقد عانى من الفرقة والبعد وكتمان حبه بسبب (**الرياح)** التي جاءت رمزا للقوة والجبر والقهر الذي وقع الشاعر تحت سطوتهم، فآثر أن يمضي ويرحل ويرضى بما قدره الله له، ويحاول أن يواسي محبوبته التي لم يستطع أن يفصح باسمها خوفا من مجتمعه الذي يرفض الحب ولا يؤمن به ، فيخاطبها قائلا: " يا عامرية آن أن ترتاحي " وهذا دليل على أنها عانت كثيرا مثله بسبب هذا الحب وصمدت كثيرا أمام رياح القهر ، فيرى الشاعر أنه حان الوقت لأن ترتاح من هذا العناء، وتحلق بعيدا عنه كطائرين التقيا ثم تفرقا، ويعدها أنها ستظل في ذاكرته؛ فهي دوما في خاطره لا ينساها، وهي أيضا ملهمته يقول لها :

ما رفرفت ذكراك إلا مسني ..

سكر القصيدة وابتدت أقداحي [1]

ولكنْ ثمة فروق بين الشخصيات (الشاعر ومحبوبته) و(قيس وليلى) فقيس لم يفقد الأمل في وصل ليلى رغم كل المعاناة التي كان يعانيها، لكن الشاعر فقد الأمل في لقاء محبوبته ورضي بالرحيل، كذلك يبدو الشاعر في قصيدته كاتما حبه لا يعلنه ربما خوفا على محبوبته ، وهذا عكس ما فعله قيس الذي كان يجاهر بحب ليلى، كذلك ليلى تختلف عن شخصية المحبوبة في القصيدة فليلى كانت تبادل قيسا الحب وتتغنى بحبه، إلا أن الشاعر يجعل حبها له معاناة آن أن ترتاح منها؛ فربما يرجع هذا إلى الضغوط التي تعرضت لها، أو أنه ليس حبا متبادلا، وهو أيضا لا يطالب محبوبته بإعلان حبه، هو يطلب منها أن تغني وتخرج الآهات والآلام في ليلة الفقد ، وهكذا نجد الشاعر قد استحضر قصة حب قيس وليلى ليرمز بها إلى الفراق الذي عاشه في قصة حبه.

ولعل مهارة الشاعر الفنية، تجعله يستحضر شخصية تاريخية مؤثرة راسخة في وجدان المتلقي، وهي شخصية الخليفة العباسي (المهتدي بالله) ليتعالق نصه مع التاريخ، رمزا للخديعة والتآمر، فكما تآمر الأتراك على قتله بعد أن قاموا بمبايعته وتسليمه الخلافة، واطمأن لهم وظن بهم وبالخلافة خيرا، كذلك الشاعر غدر به زمن الحب، وهو الذي بدأ بالتصافي مع الشاعر، وأغراه بهدوء بحاره فأبحر، وسلام ضفافه فرسى، يقول:

عطفنا على زمن الحب دهرا

وها نحن ..

نخاف انعطافهْ

وثقنا به..

حين مد التصافي

كما وثق المهتدي بالخلافهْ [1]

[1] - الديوان : ص 25 .

المبحث الثالث :الرمز اللوني:

للون أهمية كبيرة في حياة الشعراء؛ فقد وجدوا فيه متنفسا كبيرا للتعبير عما يجول في خواطرهم ويعبر عن مشاعرهم، فاللون يُعد من أهم المفاتيح لفهم تجربة الشاعر ونفسيته ونظرته للحياة؛ فعالمه اللوني يكشف لنا عن شخصيته وأفكاره ورؤاه.

ويمنح اللون النص الشعري جمالا وحيوية، كذلك فهو يحمل بين طياته أبعادا رمزية تختبئ خلف مفردته، ويكون التوظيف اللوني متلائما مع الحالة الشعورية التي يشعر بها الشاعر سواء أكانت مؤقتة أم دائمة؛ فلهذا التوظيف بواعث خاصة وتداعيات في وجود اللون وجلبه إلى حيز النص.

وللمفردة اللونية دلالتان: دلالة عامة مباشرة، ودلالة خاصة غير مباشرة لها علاقة بتجربة الشاعر وحياته، ومعروف أن النص الأدبي يرتكز على مقومات منها اللفظ بدلالته العامة والخاصة، والإيقاع الموسيقي والأسلوب الفني، ويشترك مع ذلك اللون "فدفء اللون كدفء الإيقاع كدفء المعنى، كلها تخلق في العمل الفني طاقة خاصة تؤسس صورة جديدة وجميلة، وتكون لها طاقة مميزة، صورة جديدة ذات مدلولات متغيرة، تصبها في قالب جديد"[2].

وقد اقتحم السبهان عالم الألوان وصبغ قصائده بها، واحتل اللون مساحة كبيرة في قصائده، فكان من العناصر التي استخدمها في تجسيد تجربته، وكان له دلالات متعددة حسب الموقف والسياق الذي ورد فيه، ومن خلال رصد المساحة الدالة على عنصر اللون في ديوان السبهان وجدت أن الشاعر استخدم عدة ألوان كالأسود والأبيض والأحمر والأصفر .. إلا أن اللون الأسود سيطر على المساحة اللونية في الديوان.

اللون الأسود:

من خلال دراستي لديوان السبهان، لاحظت سيطرة اللون الأسود على بقية الألوان؛ فقد كسا السواد صفحات ديوانه، وربما يرجع ذلك لحالة الشاعر النفسية المتأزمة التي جعلته ينظر للحياة نظرة سوداوية قاتمة في بعض المواضع، وقد جاء اللون الأسود بمفرده أحيانا، وممتزجا أحيانا أخرى باللون الأبيض أو غيره من الألوان، ويعد اللون الأبيض نقيض الأسود فالبياض يكون مقابلا للسواد، ومزج الشاعر لهما دليل على حالة التناقض والصراع اللذان يعيشهما، ويشعر بهما.

وقد حمل اللون الأسود دلالة سلبية كالتشاؤم والخوف والظلام في بعض المواقف، ونجده في مواضع أخرى يحمل دلالات إيجابية كالقوة والجمال والتفاؤل، وقد استُخدمت في اللغة ألفاظ كثيرة دلت على اللون الأسود اجتمعت في أغلبها على أن له دلالة سيئة متشائمة، وقد رسخت هذه الدلالة للون الأسود في فكر الإنسان منذ القدم "فقد رمز الهنود الأمريكيون للعالم السفلي باللون الأسود مقابل العالم العلوي الذي رمزوا له بألوان كثيرة "(3)، كما ارتبط اللون الأسود بالفوارق الاجتماعية فكان

---

[1] - الديوان : ص 29 .

[2] - المقالح ،عبد العزيز: إيقاع الأزرق والأحمر في موسيقى القصيدة الجديدة ، مجلة المعرفة ، العدد 3/2 (مكتبة الجامعة الأردنية ، 1985 م).

[3] - انظر: عمر، أحمد مختار : اللغة واللون ، عالم الكتب ، ط2 1997 ، ص 163.

رمزاً للعبيد ، ولا يمكن إزالة الدلالات السيئة والتشاؤمية للون الأسود من الموروث العربي، فهو لون حزين ارتبط بالموت والخوف وفقد البصر، إلى جانب ذلك استخدم اللون الأسود ليدل على أشياء محببة كاستخدامه لوصف سواد العين، ووصف شعر المحبوبة، وغيره ؛ فقد يكون محبباً حيناً ومكروهاً حينا آخر.

وخلال هذه السطور سوف أوضح كيف تعامل السبهاني مع اللون الأسود وكيف ظهرت هذه المفردة اللونية في شعره، وماذا حملت خلالها من دلالات، والجدير بالذكر أنه لم تظهر مفردة (أسود) في الديوان بأكلمه، وإنما ظهرت كلمات تعادل اللون الأسود (كالسمرة - الليل - الظلمة - العمايات - الظل - الثرى- الكحل...).

أولا: الدلالات الإيجابية : حمل اللون الأسود دلالات إيجابية، وأول ما يظهر اللون الأسود في الديوان يظهر بدلالة إيجابية في الظل؛ ومعروف أن الظل لونه أسود ،وقد جعله الشاعر ظلا لأصدقائه، رامزا به لوجودهم حوله، فهو دوما محاط بهذا الظل الذي يعده الشاعر رمزا للأمان والطمأنينة؛ وحيث إن لوجود هذا الظل مكانة كبيرة لدى الشاعر فهو يهديه هذا العمل (الديوان)، ويزيد من وضوح اللون الأسود (الظل) حين يأتي بلون مضاد متمثل في توهج الشمس وإشراقها -وهي أيضا رمز للإشراق والأمل والتفاؤل- ، فمعروف أن اللون يظهر أكثر بوجود ضده وكما يقول الشاعر : " الشيء يظهر في الوجود بضده "[1] فيقول السبهان في إهدائه :" **إلى ظل الأصدقاء من حولي ..حين يكبر ويكبر، كلما زادت شمس الحياة توهجا"**[2] وهكذا مزج الشاعر بين الأسود والأبيض (التوهج) ولون بهما صفحة الإهداء، وحمل كل لون منهما دلالة إيجابية.

ويستخدم الشاعر اللون الأسود في موضع آخر فيقول:

لم أكتشف بالشمس

إلا سمرتي

مع أنني .. سميتها الشقراء [3]

فالسمرة هنا جاءت رمزا لقوة الشاعر وبأسه وصلابته، وهو يفخر بهذه السمرة ويعتز بها فيضيفها لياء المتكلم، ويمزج الأسود بالأبيض المتمثل في الشمس الذي وصفها بالشقراء - ورمز بها للمواقف الصعبة والشدائد التي مرت به- فهي من جعلته يكتشف قوته وصلابته وسمرته.

ويتجلى فضاء اللون الأسود في أركان القصيدة **(أول القهوة)** فيضفي على جوانبها دلالات متعدة، وتتداخل الألوان في القصيدة لكن نجد اللون الأسود مسيطرا على أرجائها،

---

[1] - الحموي : محمد أمين بن فضل الله المحبي، شاعر من شعراء العصر العثماني، ت (1699) .

[2] - الديوان :ص 5 .

[3] - الديوان :ص 9 .

يقول الشاعر:

اذهب لها بعد اخضرار الوقت ..

والمسْها بكف الحبِّ

راقب استدارتها :

استدارة كلِّ جزءٍ من مفاتنها ..

وشُكَّ بلون معطفِها الشفيفْ !

فإذا استطاعة سُمرةُ الخدينِ أن تغويكَ

فادفع ما بجيبك وانفرد معها

علِّق أغاني الشوق في صدر المساء

وحُفَّ مجلسها بآنية تُريكَ قوامَها

متموّجا بالأصفر المحمرّ إشراقا ..

كأوراق الخريف[1]

وبهذا التوظيف اللوني الإيجابي، يصف لنا الشاعر مدى حبه للقهوة، ويصبغ الأبيات بألوان متعددة يسيطر فيها اللون الأسود، وكل لون له دلالة معينة؛ فالأخضر دليل أنها طازجة، ولونها الشفيف دليل على صفائها، وسمرتها رمزا لأصالتها، والأصفر المحمر يشير به لأوراق الزعفران التي تضاف للقهوة عند شربها.

وفي موطن آخر يظهر اللون الأسود جليا واضحا في قصيدة **(كحل سرمدي) يقول :**

أفلتَ الداكنُ من عين الوجودْ

كان كحلا سرمديا ..

صار معنىً

عشق الدنيا فذابت روحه

قهوةً

تُطربُ عشاق الخلودْ[2]

والكحل معروف بلونه الأسود فهو يزيد العيون حسنا وجمالا، وقد تغنى به الشعراء وتغزلوا بكل طرف أكحل، ولم يفلت أي شاعر من الوقوع بأسره، والشاعر من خلال هذه الصبغة اللونية يصبغ

---

[1] - الديوان :ص 35 .

[2] - الديوان :ص 49 .

النص بصبغة سوداء غير أنها جميلة ومحببة للنفس، وقد كرر الشاعر مفردة (كحل) مرتين ليعبر عن جمال العيون الذي أفلت منها هذا الكحل، وهي ليست كأي عين إنما هي عين الوجود، فقد كان لسواد الكحل في النص دلالة جمالية وتأثير ساحر، أضفى على النص رونقا وبهجة، ولم يكتف الشاعر بوجود الكحل في العين، وإنما منحه صفة الديمومة عندما جعله كحلا سرمديا دائما، وعندما أراد أن يصف لنا الشاعر ذوبان روحه عشقا، صبغها أيضا باللون الأسود فأحالها قهوة.

ويعكس **الليل** بلونه الأسود ما يشعر به الشاعر من مشاعر وأحاسيس، وقد تكررت مفردة (الليل) (17 مرة) بدلالات متعددة ، فظهرت بصورة جلية في الديوان، والليل عنصر من أهم عناصر الطبيعة، وهو رمز للهدوء والسكينة الظلمة والخوف والقلق والحيرة والجمال والقوة ... إلخ وقد اتخذه معظم الشعراء صديقاً مخلصا لهم يشكون له ضعفهم ويتحاورون معه، ويبكون بحرقة له ، كذلك كانوا يأنسون به ويقضون فيه أجمل أوقاتهم، ويتخذونه ملهما لهم، يكتبون في أوقاته أجمل أشعارهم، رغم ظلمته التي وصفوه بها، فكان له حضور بهي في أشعارهم ،ولم تخلُ دواوينهم من الليل بشتى صوره، وقد اختلف الشعراء في وصف الليل حسب رؤيتهم له، ودرجة تأثيره عليهم سلباً أو إيجاباً فبمجرد أن "هدأت عجلة حركة الإنسان في الليل وخلد إلى السكون والراحة - وذلك توقف عادي- فإن حركة حسية داخلية يثيرها الليل في مشاعر الإنسان تضطرب وتتصارع. ففي الليل شعور بالتفاؤل وشعور بالتشاؤم، وشعور بالوحدة وشعور بالملل، وقد يطول الليل ويقصر وفق تلك الحركة الحسية الداخلية للإنسان" [1]

وما زلت أتحدث عن الدلالات الإيجابية التي وظفها الشاعر للون الأسود، فيقول متغزلا مستخدما مفردة الليل :

ألقتْ على مفرق الليلينِ

طرحتها

أطرافُها من بقايا عطرها رطبةْ

جدائل الليل

نامت في مناكبها

وفي الجبين هلال حسنها طلَبَهْ[2]

ونجد أن الدلالة الرمزية لمفردة **(الليل)** خلقت مستولدة من رحم السياق، الذي جاء فيه الشاعر متغزلا في محبوبته جاعلا سواد الليل في شَعرها، وهي من علامات جمال المرأة؛ فالشاعر جعل الليل أداة رمزية للجمال والحسن، ويجعل وشاح محبوبته بطل المشهد الذي يصفه الشاعر لنا؛ فقد ألقت محبوبته وشاحها على مفرق شعرها الذي وصفه الشاعر بأن جانبيه ليلان من شدة سواده، ثم يؤنسن جدائل الليل (شعرها) ويجعلها تنام في مناكب وشاحها الذي امتلأ بعطر المحبوبة، ثم يكسر الشاعر هذه الصورة الممتلئة بالسواد، جاعلا البياض يكسو جبين محبوبته؛ فيجد المتلقي نفسه أمام ثنائية

[1] - الغيث، نسمية راشد: التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1988 ، ص49.

[2] - الديوان :ص 41 .

(السواد، والبياض) المتمثلين في (الليل والهلال) وبهذا يكون الشاعر قد منح النص بعدا لونيا دلاليا عميقا.

ثانيا: الدلالات السلبية: كما ظهر اللون الأسود بدلالات إيجابية، فقد وظفه الشاعر ليعكس لنا نظرته التشاؤمية ومخاوفه وقلقه، وتمثل السواد في معظم القصائد بدلالته السلبية السيئة في مفردة (الليل) فنجد الشاعر يربط بين الحزن والليل فيقول:

من قبلها

ألقتِ الدنيا بناصيتي

والليلُ جُبٌّ... أحزاني غيابتُهُ [1]

فقد كسا السواد الأبيات فجعل الليل رمزا للظلمة والأحزان، وأراد الشاعر أن يزيد من حدة اللون الأسود ويوسع من رقعة السواد؛ فذكر الجُب، والغيابة اللذان يرمزان إلى الخوف والتيه والتخبط، الذي يملأ ليل الشاعر.

ويتخذ الليل رمزا للمعاناة والفقد والبكاء فيقول :

غني بليل الفقد

تهدأ نجمة

فبكاء هذا النجم غير مباح[2]

ويجعل الليالي العقيمة رمزا لفقدان الأمل والتشاؤم، فكما لا يُرتجى ظهور الضوء في الليالي المظلمة، فلا أمل أيضا عند الشاعر ولا ثقة لديه في الدهر، وقد وصف الشاعر الليالي بالعقيمة دلالة على غياب الأمل وفقدانه إلى الأبد، يقول:

قيل :

في الليلِ فضّة من أماني

قلتُ ؛ لا برق

في الليالي العقيمة [3]

وتتضح ثنائية الأسود والأبيض المتمثلة في (ليل- فضة) (الليالي – برق) ورغم وجود اللون الأبيض إلا أن الصبغة اللونية السوداء سيطرت على الأبيات وعكست حالة الشاعر النفسية المتشائمة، والأبيات رغم سوداويتها إلا أنها مغلفة بالحكمة متأثرا فيها الشاعر بقول أبي فراس الحمداني : "وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر".

---

[1] - الديوان : ص 54 .
[2] - الديوان : ص 26 .
[3] - الديوان : ص 63 .

وهكذا احتل اللون الأسود مساحة كبيرة من الديوان، وأبدع الشاعر في توظيفه بدلالات متعددة حسب السياق الذي ورد فيه.

اللون الأبيض: يعد اللون الأبيض من الألوان الأساسية، والبياض ضد السواد ، وله حضور واسع في أدبنا العربي، ويرمز اللون الأبيض للنقاء والصفاء والطهارة والوضوح والإشراق والسمو ..."ولما كان هذا اللون مرتبطا عند معظم الشعوب – بما فيها العرب – بالطهر والنقاء استخدمه العرب القدماء في تعبيرات تدل على ذلك؛ فقد قالوا: كلام أبيض، وقالوا: يد بيضاء، واستخدموا البياض للمدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب، لارتباطه بالضوء وبياض النهار استخدموه في تعبيرات تدل على ذلك، فقد قالوا: كتيبة بيضاء: عليها بياض الجديد وأطلقوا على الحنطة وعلى الشمس اسم البيضاء وقالوا الأيام البيض لليالي (13)،(14)،(15) من الشهر ، لأن القمر يطلع فيها من أولها إلى آخرها "(1).

وقد احتل اللون الأبيض المساحة اللونية الثانية بعد الأسود في ديوان السبهان، ومن خلال تقصي المواطن التي وظف فيها الشاعر اللون الأبيض، وجدت أن لهذه المفردة اللونية أبعادا دلالية متعددة، وقد ذكرت بعضها خلال استقصاء فاعلية اللون الأسود، وكيف ظهرت في ثنائية متناغمة معه، وجدير بالذكر أن مفردة (البياض) لم تأت صريحة في الديوان إلا مرتين فقط، ولكن ظهرت مفردات متعددة تعادل اللون الأبيض كالسحب والبرق والسنا والنور والضوء والشقراء... وقد تجلى اللون الأبيض بدلالات متعددة، عكست لنا رؤية الشاعر لهذه المفردة اللونية، وتظهر المفردة اللونية (بياض) خلال وصف الشاعر لأهمية الأنثى في الحياة؛ فهي مصدر الدفء والحب والحنان في هذا العالم البائس، فبدونها يختل نظام الكون ولا يستطيع الرجل أن يعيش بمفرده، يقول الشاعر:

نحتاج للأنثى ..

سحابا أبيضا

هذي السماء مليئة بالأزرق[2]

ونرى الشاعر يمزج بين اللونين(الأبيض– والأزرق) المتمثلين في السحاب الأبيض والسماء الزرقاء؛ ليكمل أركان لوحته الشعرية ويبرز اللون الأبيض في أشد تركيزه، فلم يكتف الشاعر بذكر السحاب المعروف بلونه الأبيض، إنما أكد صفاء لونه ولمعانه عندما وصفه بـ(سحابا أبيضا) ليدل بهذا الوصف اللوني على شدة بياض هذا السحاب، ويجعل خلفية هذا اللون زرقة السماء، ويربط الشاعر بين أهمية وجود السحب في السماء ومدى احتياجنا لها - فهي رمز للماء الذي لا يعيش الإنسان بدونه- وبين أهمية وجود الأنثى في حياتنا، فالأنثى هي الأم والأخت والابنة والزوجة...، فلا حياة لنا أيضا بدونها، وكما تحيي السحب الأرض وتجود بالغيث؛ فالأنثى تحيي الأرواح وتعمر الكون.

[1] - أحمد مختار عمر : اللغة واللون ، ص 69.
[2] - الديوان : ص 83 .

وفي موضع آخر يتخذ البياض رمزا للنقاء والطهر وصفاء النفس فيقول:

بياض الطيبين: شراعُ طهرٍ

إذا التطمت نوايا الناس فِسْقا[1]

ويجعل اللون الأبيض رمزا للوقار والهيبة فيقول:

عن شيبة في الرأس حدّث والدي

أن الحكايةَ

غيرُ ما يتراءى[2]

فالأبيض المتمثل في **شيب** رأس والده، وُظف كدليل رمزي على حكمة والده، وخبرته وحنكته في الحياة التي جعلته يعرف ما وراء الظاهر ويكشف الخفايا المستترة؛ فليس كل ما يُرى يصدق فقد يكون وراء المشهد والحكايات، حكايات أخرى، ويظهر التضاد القائم بين السواد والبياض في لون الشيب الأبيض وبقية الشعر الأسود في الرأس؛ فالشاعر لم يجعل الشيب يكسو الرأس فكلمة (شيبة) جاءت مفردة لتدل على قلة وجود الشيب في الرأس، وهنا إشارة لقوة أبيه ورجاحة عقله، وعدم تقدمه في العمر، وهكذا وظف الشاعر اللون الأبيض بدلالاته وأبعاده الرمزية الكامنة خلف ستار هذا اللون الشفيف ليعبر به عن مدلولات كامنة في أعماقه، كشفها السياق والموقف.

اللون الأحمر: يعد اللون الأحمر من أوائل الألوان التي عرفها الإنسان، فهو لون النار والدم والزهر، وهو "من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة وهو من أطول الموجات الضوئية "(3) وقد ارتبط هذا اللون بالقتل وسفك الدماء، كذلك اقترن بالجمال وتغنى الشعراء بحمرة خدود المرأة، كذلك دل هذا اللون على الحيوية والنشاط والدفء والحب والشوق والانتصار على الأعداء في الحروب...، والسياق الشعري وحده هو الذي يحدد الأبعاد الرمزية لهذا اللون، وقد وظف السبهان اللون الأحمر في شعره لما لهذا اللون من دلالات عميقة متعددة مثيرة للقارئ، وقد جاءت الألفاظ الدالة على الحمرة ألفاظا مباشرة (مرة واحدة وقد ذكرتها سابقا ص24) وغير مباشرة والتي ظهرت في مفردات متعددة (الدم – النار – وتوهج الشمس – الجمر- والورد...) وقد كان هناك تداعيات وأسباب نفسية ساهمت في جلب هذا اللون في حيز النص، ونجد الشاعر يستحضر اللون الأحمر المتمثل في لون **الدماء** في قصيدة (حبر الحرب) فيقول:

لا فرقَ إذن بين القرطاس يسيل عليه الحبر..

وبين الأرضُ تَرقرَقُ فيها بقعةُ دمْ ! [4]

---

[1] - الديوان : ص 33 .
[2] - الديوان : ص 10 .
[3] - عمر، أحمد مختار : اللغة واللون ، ص 111.
[4] - الديوان : ص 56 .

صبغ الشاعر هذه اللوحة الشعرية المفعمة بالحركة بألوان متعددة فمزج بين حمرة الدماء المنعكسة على الأرض السوداء، وبين لون الحبر وبياض القرطاس، ورغم وجود عدد من الألوان في الأبيات إلا أن لون الدماء يجذب ذهن المتلقي، وهو اللون البارز والمسيطر على هذه اللوحة، والأحمر هنا وظفه الشاعر رمزا للمشاعر والعواطف المنسابة من الشاعر، والتي تترقرق فوق الأرض وسرعان ما تمتزج بها؛ فالشاعر هنا يساوي بين الحبر السائل على الأوراق، والدم المترقرق على الأرض باعتبار أن الكتابة حرب يَهزم فيها الشاعر جيوش الهم والألم، حتى وإن هزم في هذه الحرب وأصبح ضحية أفكاره؛ فهو فرح بهذا الموت وتلك التضحية، ويأتي الشاعر باللون الأحمر المتمثل في لون **شواظ النيران** فيقول :

الشعر حروب في الداخل ..

هذا الحرف: شواظٌ من نيران صديقةْ [1]

وقد عمد الشاعر على تكثيف اللون الأحمر في الأبيات؛ فالشواظ النار المحضة التي لا يخالطها الدخان، وقد وظف الشاعر شواظ النيران وما ترمز به هذه المفردة إلى دلالات عميقة، توحي بحرقة هذه النيران، وعندما أضافها الشاعر لـ(صديقة) أصبحت رمزا لنار الحب وتأجج المشاعر التي تبعثه تلك الصديقة في مشاعره وحروفه؛ ونجد الشاعر متأثرا باستخدام القرآن الكريم لهذه المفردة اللونية، عندما توعد الله سبحانه وتعالى الأنس والجن بناره المحرقة التي لا مهرب منها، في قوله تعالى في سورة الرحمن:" يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ"، وفي موضع أخر يقول الشاعر:

تلُوكُني كلَّ ليلٍ

حين يسرقُني:

من مجلس القوم من تحلو استلابته

مجامرُ الشوق، أسرابُ الأسى،

لغة التفكير،

طل الهوى الصافي، سحابتُهُ ! [2]

وهناك ترابط بين اللون الأحمر ولون الجمر، وهنا يوظفه الشاعر في سياق الحديث عن فراق أحبته ليرمز به إلى أشواقه المتقدة في القلب، ويبرز الشاعر الألوان (الأسود، والأحمر، والأبيض) في لوحة شعرية من خلال توظيف المفردات(الليل- مجامر- سحابته) فقامت دعائم الصورة اللونية بما لها من بعد رمزي جمالي تداخلت فيه تلك الألوان ليبرز اللون الأحمر بينهم ويعبر به الشاعر عن أشواقه المشتعلة، وعواطفه المتأججة.

---

[1] - الديوان : ص 57 .
[2] - الديوان : ص 51 .

ويرسم الشاعر صورة للنار مؤطرة بالحسن والجمال، تمتزج وتتداخل فيها الألوان(الأحمر- الأزرق- والأصفر- والأبيض)، ليكون اللون الأحمر سيد هذه اللوحة ويجعل مفردة (**النار**) عنونا للقصيدة، فيقول:

- النار-

كلماتك الزرقاء تقسم أن أصفركِ اشتهاءْ

يا نصف عاشقةٍ ..

تغار فتأكل الألوان..

ليس يذيبها

إلا الذي بلا لونٍ

فتسكنُ كلُّ غيرَتها :

بمـــــاءْ ! [1]

وقد بسط العنوان ظلاله على النص، فكانت النار- بلونها الأحمر المتقد - محوره، فرمز بها الشاعر للأنثى، لما تحمل بداخلها من مشاعر متأججة وحب ملتهب،وقد ظهرت تلك الأنثى(النار) عاشقة غيورة تدفعها غيرتها لأن تهدم كل جميل، ولا يستطيع أحد أن يهدّئ من روعها ويشعرها بالأمان والطمأنينة، ويذيب كل خوف عندها إلا الرجل الذي رمز إليه الشاعر بالماء، فدوما ما ينجذب الشيء لضده ويتماهى فيه؛ وقد منح التقابل اللوني بين النار والماء - اللذين يكون لكل منهما شكلا لونيا خاصا – بعدا دلاليا عميقا، وصورة لونية زاهية.

وهكذا برع الشاعر في توظيفه للون في سياقات متعددة تعكس ما يدور في نفسه من مشاعر وأفكار، وقد منحت هذه الألوان للنص الشعري أبعادا دلالية متنوعة، وقد توقفت في السطور السابقة عند أبرز الألوان التي استخدمها الشاعر، إلى جانب استخدامه لألوان أخرى كالأخضر والأزرق والأصفر، إلا أن معظمها جاءت ممتزجة مع الألوان (الأسود – والأبيض – والأحمر) وقد عرضت لها أثناء تحليلي لبعض النصوص.

من خلال النماذج التي ذُكرت، يتّضح أن السبهان اعتمد على سجلات رمزية متنوعة في بناء قصائده، كما أنه لم يقتصر على مصدر واحد من الرموز، ولم يقم بعملية توصيف لرموزه فقط؛ بل كان يشاطرها التجربة، ولا يتعامل معها كأشياء خارجية منفصلة عنه، بل يتفاعل معها تفاعلا حياً، يحاورها، يبتعد عنها، يقترب منها، يتحد معها، أو يتقنّع بها، لكنه في كل الأحوال يرى نفسه بطلا يتحرك بين عناصر ذوات علاقة قوية بكيانه النفسي وواقعه المادي.

والحق أن الشاعر استخدم الرمز استخداماً شعرياً سليما، وكان المغزى الذي شحن به هذه الرموز وثيقا بالتجربة والموقف الشعوري الذي عبر عنه في قصائده.

---

[1] - الديوان : ص 50 .

الخاتمــة :

إن الراصد لحركة الشعر العربي الحديث لا يمكن له بحال أن يغض الطرف عن الحضور المتنامي للنزعة الرمزية في شتى تمظهراتها في المعجم، والإيقاع والصّورة والأسطورة، وإن بدا ذلك متفاوتاً من موجة شعرية إلى أخرى ومن تجربة شاعر إلى شاعر آخر، أي من الرمزية التي لا تتجاوز البنية السطحية للقصيدة إلى الرمزية التي تشكل مدار رؤية وجوهر كتابة.

يخلص البحث إلى أنه:

1- يعد الرمز من أهم أدوات السبهان التي أثرت شعره ومنحته عمقا في التعبير؛ وقوة في التأثير
2- حرص الشاعر على صياغة بناءات فنية وجمالية تعبر عن مشاعره وأفكاره وجوانب من حياته؛ فلجأ إلى استعمال الرمز.
3- غالبية الرموز التي ضمنها السبهان في شعره ليست أقماراً تائهة ولا منفلتة من مداراتها كما تبدو في الظاهر، بل هي رموز متوالية مترابطة، بينها وشائج خفية وعلاقات وطيدة.
4- أضفى الشاعر على رموزه تجربته الخاصة، فلم يكن استدعاؤه لها مجرد تكرار.
5- إن مفهوم الرمز الأدبي هو الذي يستند فيه الرمز إلى ترابطات معينة ويوحي بها، أما الرمزية فهو مفهوم يعني أسلوباً وطريقة تستخدم فيها الكلمات بحيث لا يكون لها أية دلالة محددة، فقد تعني أي شيء، وكل شيء، وقد لا تعني شيئاً.
6- استخدم الشاعر رموزا متعددة ، غير أنه أكثر من استخدام رموز الطبيعة.
7- نجح الشاعر من خلال الرمز أن يبث في شعره بعض القيم والمبادئ، كالصبر والعطاء والتفاؤل والتضحية ...إلخ.
8- استخدم الشاعر الرموز الدينية والتراثية؛ فمنح شعره نوعا من الأصالة، ودفع القارئ لاستحضار النصوص والشخصيات الدينية والتراثية أثناء قراءة شعره، كذلك فتح الشاعر النص أمام القارئ لتعدد القراءة التأويل.
9- أكد استدعاء الرمز التاريخي أن السبهان يفخر بهويته العربية وينتمي لها، ويشجع القارئ على الاعتزاز بها.
10- جسد الشاعر من خلال هذا الديوان هموم الإنسان، وعبر عن مشاعر الحزن والفقد والوحدة والانتظار.
11- من خلال دراسة الرمز اللوني، اتضح أن الشاعر اقتحم عالم الألوان بجرأة وصبغ معظم قصائده بألوان متعددة، وقد أضفى اللون على شعره البهجة والحيوية.
12- أجاد الشاعر التلاعب بالألوان، في سياقات متعددة ترتبط برؤيته وأفكاره تجاه هذه الألوان.

13- ركز الشاعر على استخدام مفردات لونية معينة، أبرزها (الأسود) يليه (الأبيض) ثم (الأحمر) ، كما جاءت بعض الألوان الأخرى كالأخضر والأزرق والأصفر متناثرة في صفحات ديوانه.

14- دلت سيطرة اللون الأسود على بقية الألوان على حالة الشاعر النفسية المتأزمة، التي جعلته ينظر للحياة نظرة سوداوية قاتمة في كثير من الموضع، حتى وإن حمل اللون الأسود دلالات إيجابية.

15- حملت المفردات اللونية المستخدمة دلالات إيجابية كالجمال والحضور والطهر والنقاء، وأخرى سلبية كالحزن والظلمة والتشاؤم والغيرة، ارتبطت بالسياق الذي وردت فيه هذه المفردة.

16- أثرت تقنية الترميز التي بثها الشاعر في نصوصه الشعرية في تفاعل المتلقي مع النص الشعري، ومشاركة الشاعر أحزانه وأفراحه.

والحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.
- السبهان، سلطان: ديوان ما لا يجيء، ط1 ، دار تشكيل للنشر والتوزيع 2018 م

المراجع:

- أدونيس: زمن الشعر، ط3 ،(بيروت دار العودة، 1983م).
- أحمد، محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط2(القاهرة: دار المعارف، 1978م).
- إسماعيل، عز الدين : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط6(الجيزة : المكتبة الأكاديمية، 2003م).
- البستاني، صبحي: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، (دار الفكر اللبناني، 1968م).
- تزودروف: الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط2، (المغرب، دار توبقال للنشر، 1990م) .
- جاكبسون، رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، ط1، (المغرب، دار توبقال للنشر، 1988م).
- الجندي، درويش: الرمزية في الأدب العربي، د:ط (القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر).
- الخطيب، رحاب مصطفى، معراج الشاعر: مقاربة أسلوبية لشعر طاهر رياض، ط1(بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2005م).
- الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام، د:ط (إربد، الأردن، نشر بدعم من جامعة اليرموك 1980م.).
- زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، د:ط (القاهرة: دار الفكر العربي، 1997 م) .
- عمر ، أحمد مختار: اللغة واللون ط2 (عالم الكتب ، 1997 م) .
- عياد، محمد ، الزمن والشعر (المغرب، علامات : مجلة ثقافية ، العدد 17 2000 م) .
- الغريبي، خالد : في قضايا النص الشعري العربي الحديث، ط1 (صفاقس: مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع، 2007م) .
- الغيث، نسمية راشد: التجديد في وصف الطبيعة بين أبي تمام والمتنبي ط1، (القاهرة :مكتبة الأنجلو المصرية ، 1988م).
- كندي، محمد علي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، بإيجاز ،ط1 (بنغازي: دار الكتب الوطنية، 3003م).

- المقالح ،عبد العزيز: إيقاع الأزرق والأحمر في موسيقى القصيدة الجديدة ، مجلة المعرفة ، العدد 3/2 (مكتبة الجامعة الأردنية ، 1985 م).
- الناظم، حسن، مفاهيم الشعرية(دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم)، ط1 (بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994م).
- مجموعة من المؤلفين: معجم السرديات ، إشراف: محمد القاضي، ط1، (تونس، دار محمد علي للنشر، 2010م).
- نصر الله، هاني: البروج الرمزية دراسة في رموز السياب الشخصية والخاصة، ط1 (إربد: عالم الكتب الحديث،2006م).
- ويليك، رينيه : مفاهيم نقدية ، (الكويت: عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 110، جمادى الآخرة، 1987م).

المراجع الإلكترونية:

- https://ar.wikipedia.org/wiki/سلطان_السبهان

Sources and references

Sources:

•The Holy Quran.

•Al-Sabhan, Sultan: Diwan What Does Not Come (in Arabic), 1st edition, Tashkeel Publishing and Distribution House, 2018 AD .

References:

• Adonis: The Time of Poetry, 3rd edition, (Beirut, Dar Al Awda, 1983 AD).

•Ahmed, Muhammad Fattouh: Symbol and Symbolism in Contemporary Poetry (in Arabic), 2nd edition (Cairo: Dar Al-Maaref, 1978 AD).

•Ismail, Ezz El-Din: Contemporary Arab Poetry: Its Issues and Artistic and Moral Phenomena, (in Arabic) 6th edition (Giza: Academic Library, 2003 AD .

• Al-Bustani, Sobhi: The Poetic Image in Artistic Writing, Origins and Branches, (in Arabic) (Dar Al-Fikr Al-Lubani, 1968 AD).

• Trudrov: Poetics, translated by: Shukri Al-Mabkhout and Raja Ben Salama, 2nd edition, (Morocco, Toubkal Publishing House, 1990 AD).

• Jacobson, Roman, Poetic Issues, translated by: Muhammad Al-Wali and Mubarak Hanoun, 1st edition, (Morocco, Toubkal Publishing House, 1988 AD).

•Al-Jundi, Darwish: Symbolism in Arabic Literature, (in Arabic) D: I (Cairo: Nahdet Misr for Printing and Publishing.(

•Al-Khatib, Rehab Mustafa, The Poet's Mi'raj: A Stylistic Approach to the Poetry of Taher Riad, (in Arabic) 1st edition (Beirut, Arab Foundation for Studies and Publishing, 2005 AD.(

•Al-Rubai, Abdul Qadir: The Artistic Image in the Poetry of Abu Tammam, (in Arabic) D: Edition (Irbid, Jordan, published with the support of Yarmouk University, 1980 AD).

• Zayed, Ali Ashry: Invoking traditional figures in contemporary Arabic poetry, (in Arabic) ed. (Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1997 AD).

• Omar, Ahmed Mukhtar: Language and Color, (in Arabic) 2nd edition (Alam al-Kutub, 1997 AD).

• Ayyad, Muhammad, Time and Poetry(in Arabic) (Morocco, Signs: Cultural Magazine, No. 17, 2000 AD).

• Al-Gharibi, Khaled: On Issues of the Modern Arabic Poetic Text, (in Arabic) 1st edition (Sfax: Carthage Library for Publishing and Distribution, 2007 AD).

• Al-Ghaith, Nasmiya Rashid: Innovation in the Description of Nature between Abu Tammam and Al-Mutanabbi, (in Arabic) 1st edition, (Cairo: Anglo-Egyptian Library, 1988 AD)

• Kindi, Muhammad Ali: The Symbol and the Mask in Modern Arabic Poetry, in brief,(in Arabic)1st edition (Benghazi: National Book House, 3003 AD).

• Al-Maqaleh, Abdul Aziz: The rhythm of blue and red in the music of the new poem, (in Arabic) (Al-Ma'rifa Magazine, No. 2/3 (University of Jordan Library, 1985).

•Al-Nazim, Hassan, Concepts of Poetics (a comparative study in origins, method, and concepts), 1st edition (Beirut, Arab Cultural Center, 1994.(

• A group of authors: Dictionary of Narratives, supervised by: Muhammad al-Qadi, 1st edition, (Tunisia, Muhammad Ali Publishing House, 2010 AD).

• Nasrallah, Hani: The Symbolic Zodiac, A Study in Al-Sayyab's Personal and Private Symbols, (in Arabic) 1st edition (Irbid: Modern World of Books, 2006 AD).

• Wellick, Rene: Critical Concepts, (in Arabic) (Kuwait: The World of Knowledge, published by the National Council for Culture, Arts and Letters, No. 110, Jumada al-Akhirah, 1987 AD).

Electronic references: Sultan_Sabhan https://ar.wikipedia.org/wiki/